Universal Journal of Theology
E-ISSN: 2548-0952
Volume II, Issue IV, 267-288
http://dergipark.gov.tr/ujte

نقد متن الحديث بالعرض على علم الفلك وتطبيقاته

CRITICISM OF THE DISCUSSION OF ASTRONOMY AND ITS APPLICATIONS*

Yahya Maabdeh
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Temel İslam Bilimleri
Ağrı-Türkiye
dr.yzasm@gmail.com

Atıf gösterme: Maabdeh Y. (2017). Astronomi İlimlerine Arz Yoluyla Hadis Metin Tenkidi. *Universal Journal of Theology 2* (4), 267-288.

Geliş Tarihi:
11 Aralık 2017
Değerlendirme Tarihi:
12 Aralık 2017
Kabul Tarihi:
18 Aralık 2017

© 2017 UJTE
E-ISSN: 2548-0952
Tüm hakları saklıdır.

Öz: Bu makale Sünneti Nebeyyiye'yi Astronomi ilimlerinin yardımıyla anlamaya yönelik tespitler içermektedir. Dolasıyla tenkid ameliyesine bağlı olarak konunun önemi ve gerekçeleri bu çalışmada işlenmiştir. Yine bu araştırma genel olarak tecrübeye dayalı ilimler, özelde ise astronomi ilimleri ve uygulamaları ışığında ilkelerin tespitini, tenkit prensiplerinin ilmi yönlerini içermektedir. Ayrıca Kur'ân ve Sünnet'in bu kaidelere delaletini, özellikle de muhaddislerin rivayet ve dirayet ilimleriyle ilgili yöntemlerini de içermektedir. Çalışmada incelenen rivâyetlerin astronomi ilmine mukayesesiyle tashih ve taz'îfine dair kaideler tespit etmeye çalıştık. Netice itibariyle sünneti nebeviyye ile astronomi ilmi arasında tam bir muvâfakat olduğu görülmüştür.

Anahtar Kelimeler: *Hadis, Sünnet, Nebevi, Gerçek, Astronomi, Tenkid.*

Abstract: This study deals with the extent to which astronomy can be used in the service of the Prophetic Sunnah, its importance, and its reasons. and study the issues related to the process of criticism, such as the disciplines of the study of Revelation and Sunnah in the light of science in general, and particularly with astronomy. Also will give the status of the Sharia (Religion Rules) on the origins of criticism by the science, and the significance of the criticism method which used by Hadith Studies "Rîwaya & Dîraya". And the development of rules for correction & weakening the Words attributed to the Prophet Muhammad (SA.) by the applications of astronomy, in the end the study concluded that there is absolute harmony between the Sunnah and astronomy.

Keywords: *Hadith, Sunnah, Prophetic, Facts, Astronomy, Criticism.*

المدخل:

اشتمل الوحي قرآنا وسنة على كثير من النصوص المتعلقة بالوقائع الفلكية ونظرة الشريعة لها، ابتداء من حديث الوحي عن خلق الكون وانتهاء بالأحداث الكونية آخر الزمان وما بعدها، والوحي لا يتحدث عن الظواهر العلمية والفلكية إلا ضمن منهج هدائي للإنسان، والعلم نسبي ولفظ الوحي ابتدائي في التأسيس للمعرفة ونهائي في الدلالة على مطلق المعرفة، فنص الوحي أغنى من أي معجم لغوي أو تخصصي في أي معرفة، والوحي من الله الخالق لهذا الكون فهو اللطيف الخبير قال تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

* هذا البحث مستل من أطروحة الدكتوراه، وهو الفصل الخامس من الرسالة ، بعنوان نقد المتن بالعرض على الوقائع الفلكية، ووضع لهذا البحث -بما يناسبه- مقدمة تتضمن مشكلة الدراسة وأسئلتها، وخاتمة وخلاصة، ويبدأ الاقتباس المتواصل في هذه المقالة بالمبحث الثاني، "معابده، يحيى زكريا، الأحاديث النبوية الواردة في الوقائع الفلكية، دراسة موضوعية نقدية "الفصل الخامس"، أطروحة العالمية (دكتوراه)، المشرف الدكتور محمد عبد الرحمن طوالبه، جامعة اليرموك، 1430 هـ 2009 م.

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [1]، فليس هناك صراع بين العلم والدين لأنهما من عند الله الخالق، واذا كان العقل حجة على الإنسان لمعرفة صدق الرسل والرسالات وإثبات وجود الله، وإذا آمن بعد ذلك كان مكلفا بمعرفة التكليف له وعنوانه العام عمارة الأرض فهو مطالب بالاستزادة من العلوم لتحقيق تكليف بكل فرائضها، واذا كان الفلك المحيط بالإنسان من أعظم الآيات واذا كانت مواقيت العبادات والمعاملات مرتبطة بظواهر فلكية كان لا بد من بناء منهج نقدي متكامل، يتجاوز مسألة إثبات صدق الإسلام إلى بعد تكليفي آخر مرتبط بفهم النصوص والتأكد من ثبوتها فيما يتعلق بالسنة النبوية من خلال علم الفلك وتطبيقاته وهذا يدخل تحت مفهوم و مصطلح النقد العلمي.

ومن هنا فالبحث يبين أهمية النقد الحديثي في ضوء علم الفلك وتطبيقاته ومسوغاتها، وقواعدها، وخصائصها، والمجالات التي يمكن الاستفادة منها في قضايا متعددة تاريخية وفقهية وحديثية، وهي طريقة مبتكرة لتوثيق الوحي في مجال جديد من البحث العلمي حاول العلماء سابقا وفق ما أتيح لهم من علم أن يطبقوه.

فعملية النقد تتجاوز إشكاليات الشك المنهجي إلى ما هو اعمق في خدمة الشريعة وفهم نصوصه، ومن هنا فالبحث يؤصل لهذه القواعد من القرآن والسنة، ويبين أسبقية العلماء والمحدثين في التأسيس لهذه القواعد، بما يثبت علميا جدارة الأمة عبر تاريخها بالتأصيل العلمي لمناهج النقد، فهم آمنوا بكليات الدين عقلا ثم نقلا، رواية ودراية، ضمن ضوابط محدده دون إفراط أو تفريط، والوحي قدم اهتماما خاصا للاستزادة بعلم الفلك بدعوة النَّبي صلى الله عليه وسلم: "إنا أمَّة أميَّة لا نكتب ولا نحسب[2]"، فهي دعوة لكل مسلم في كل زمان ومكان إلى الأخذ بالعلم والمعرفة.

أهداف البحث وأهميته:

تكمن أهمية البحث في السعي لتحقيق أهدافه وهي: وضع معالم منهج النقد العلمي للوحي- في مجال السنة على وجه الخصوص- في ضوء العلم الحديث عامة وعلم الفلك وتطبيقاته على وجه الخصوص وبيان أهميته ومجالاته ومسوغاته، وضوابطه.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة في الإجابة عَنْ الأسئلة التالية

1. هل يمكن الإفادة من علوم الفلك وتطبيقاتها في خدمة السُنَّة النبوية؟
2. ما هي أهمية النقد الحديثي في ضوء العوم الفلكية وتطبيقاتها؟
3. ما هي مسوغات نقد المتن في ضوء العلوم الطبيعية والفلكية؟
4. ما هي القواعد العلمية في دراسة المتون في ضوء علم الفلك وتطبيقاته؟
5. ما أوجه التوافق والاختلاف بين السنة النبوية وعلم الفلك؟

---

[1] سورة الملك، آية 14.

[2] تخريج الحديث: أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير , اليمامة - بيروت 1407 - 1987، الطبعة الثالثة، تحقيق: مصطفى ديب البغا؛ كتاب الصوم، باب شهرا عيد لا ينقصان، ج2، ص675، رقم 1814؛ ومسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان، ج2، ص761، 1080.

حدود الدراسة:

البحث يشمل في الحقيقة رؤية عامة لنقد متون الوحي" قرآن وسنة" في ضوء العلوم الطبيعية وتطبيقاتها لكن ضمن خصوصية علم الفلك وتطبيقاته وفي مجال مرويات السنة النبوية، فهي قواعد عامة ضمن دراسة متخصصة في مجال محدد.، مع أنها تصلح كقواعد عامة في النقد العلمي.

أدبيات الدراسة"الدراسات السابقة":

لا توجد دراسة مستقلة متخصصة في هذا الموضوع "وفق تاريخ إعداد الرسالة"، وإنَّما هناك مجموعة من الكتب والأبحاث التي تناولت أطرافا من الموضوع، وهذا بيان للدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، وفق الترتيب الزمني لها، وهي:

1. كتاب الهَيْئَةِ السَّنِيَّةِ في الهَيْئَةِ السُّنِّيَّةِ، لجلال الدين السيوطي[3]، وهو كتاب يقع في أربعين صفحة ذكر المؤلف فيه مرويات تتعلق: بـ(العرش والسماء والأرض والشَّمس والقمر والكواكب والليل والنهار)، إلا أنَّ الكتاب يغلب عليه الروايات الغرائب، واقتصر فيه على الجمع فقط دون الدراسة والتحليل.
2. نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، محمود باشا الفلكي، وهو كتاب يقع في ستين صفحة، تناول فيه تقويم العرب قبل الإسلام، و قدم نماذج لدراسة السيرة النبوية في ضوء الوقائع الفلكية، وتناول فيها مولد النَّبي صلى الله عليه وسلم وعمره، ووفاة ابنه إبراهيم، وضبط تاريخ الهجرة النبوية الشريفة، وذلك بعرض تواريخ ووقائع الفلك في تلك الروايات، وعرضها على التطبيقات الفلكية [4].
3. تحقيق حوادث كسوف الشَّمس في التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد باسل الطائي[5]، حيث قام بدراسة حوادث الكسوف والخسوف التي وقعت في التاريخ الإسلامي، ومقارنتها بالوقائع الفلكية، ويمثل هذا الجهد وجهد محمود باشا الفلكي نموذجاً لاستخدام الحسابات الفلكية في تعيين أحداث السيرة النبوية ودراسة نقدية للمتون في ضوء العلم.
4. أما في مجال دراسة المتون في ضوء العلوم الطبيعية بشكل عام، فهناك مراجع قد أشرت اليها في المبحث كل في موضعه، لكن هي قواعد عامة لا تتعلق بعلم الفلك على وجه الخصوص.

منهج البحث:

سيعتمد الباحث في دراسته في هذا البحث المناهج الآتية:

أولا: المنهج النقدي، وذلك من خلال دراسة متون الأحاديث، ضمن القواعد المعتبرة في منهج النقد عند المحدثين، والذي يقوم على دراسة الحديث الشريف رواية ودراية، ويشمل ذلك دراسة هذه المتون في ضوء علم الفلك وتطبيقاته، ومراعياً خصوصية السنة النبوية في كل ذلك.

ثالثا: المنهج الاستنباطي، وذلك باستخراج المعاني من النصوص، وأوجه الدلالة منها، إذ لا تقف الدراسة عند جمع المعلومات، ولكن تتضمن التحليل والتفسير ومن ثم الاستنباط، واستخراج الاستنتاجات، وبيان العلاقات والخصائص

---

[3] السيوطي، جلال الدين، الهيئة السنية في الهيئة السنية، ترجمة انطون هاينن، منشورات المعهد الألماني، بيروت، 1982م.

[4] محمود بشا، الفلكي، نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ترجمه من الفرنسية: أحمد زكي أفندي، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية 1412هـ-1992م.، والمؤلف من أعلام الفلك في القرن التاسع عشر، انظر مقدم الكتاب

[5] الطائي، محمد باسل، تحقيق حوادث كسوف الشمس في التاريخ الإسلامي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد: 2، 2006م.، ص355، والمؤلف أستاذ متخصص في علم الفلك في جامعة اليرموك.

للأمر المراد دراسته، وذلك بدراسة هذه الأحاديث وفق الدلالة اللغوية، وما يقابلها من دلالة علمية، مراعياً خصائص النص النبوي وبلاغته.

وقد استخدم الباحث في الرسالة في مجال الدراسة الموضوعية وجمع النصوص لموضوع الرسالة:" الأحاديث الواردة في السنة النبوية" المنهج: الاستقرائي، والذي يقوم على جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الوقائع الفلكية من مصادر السُنَّة النبوية، وذلك بالبحث في السنة النبوية من خلال مفردات علم الفلك، والمواضيع المتصلة بها، وذلك باستخراج دلالة الحديث على الموضوع، ثم تقسيم هذه الأحاديث حسب الموضوعات التي تناسبها في الرسالة بشكل عام.

خطة البحث:

المبحث التمهيدي: التعريف بمفردات الدراسة[6]، ويتضمن:

أولا: التعريف بعلم الفلك

ثانيا: التعريف بـ"والوقائع الفلكية".

المبحث الثاني: نقد المتن بالعرض على الوقائع الفلكية. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم النقد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مسوغات نقد السُنَّة بالعرض على الوقائع الفلكية.

المطلب الثالث:التصحيح والتضعيف بالعرض على الوقائع الفلكية.

المطلب الرابع:شروط النقد التاريخي بالعرض على الوقائع الفلكية.

المطلب الخامس:ضوابط دراسة الوقائع الفلكية في السُنَّة النبوية.

المطلب السادس:خصائص دراسة الأحاديث النبوية الواردة في الوقائع الفلكية.

الخاتمة:

التوصيات.

المبحث التمهيدي: التعريف بمفردات الدراسة وأهميتها، ويتضمن:

يحسن في بداية هذه الدراسة التعريف بعلم الفلك، والوقائع الفلكية، وذلك من خلال المعنى اللغوي، ومن ثم ربط ذلك بما اصطلح عليه عند النقاد، وبيان ما هو داخل في دلالة الاصطلاح، ضمن هذه الدراسة.

أولا: التعريف بعلم الفلك.

علم الفلك مركب إضافي، من مضاف "علم" ومضاف إليه "الفلك"، وحتى نتعرف عليه لا بد من معرفة معنى كل منهما.

والعلم في اللغة من علم، والعلم: نقيض الجهل[7]، وهو: مجموعة من المعلومات النظرية المنظمة والمتسقة حول موضوع محدد، جرى التحقق منها والوصول إليها باستخدام منهج ملائم[8].

---

[6] هذا المبحث مستل من الرسالة في المبحث التمهيدي ويختصره الباحث هنا على قدر ما هو مهم في التمهيد للبحث المستل.

[7] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.، ج12، ص417.

والفلك في اللغة يأتي على عدة معان، ففلك كل شيء: مستداره[9]، وفي ذلك قوله عزوجل: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [10]، وهذه اللفظة هي الوحيدة الواردة في القرآن الكريم فيما يتعلق بعلم الفلك.

وعلم الفلك اشتهر قديما بعلم النجوم وهو: علم هيئة الأفلاك، وقطع الكواكب والشَّمس والقمر والسماوات، وأقسام الفلك ومراكزها[11]، وأحيانا كان يسمى بعلم الهيئة، وهو: معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها [12]، وغيرها من الأسماء[13]، فهو علم يبحث في نشأة الكون ومصيره، والظواهر التي تجري فيه، وحساب هذه الظواهر، وأحجام النجوم والكواكب وخصائصها وأبعادها.

ولا يختلف علم الفلك في الاصطلاح المعاصر عمَّا كان عليه قديماً[14]، ولكن اختلفت الأدوات، وتطورت الطرائق، والعلوم المساعدة التي يمكن أنْ تخدم هذا العلم، فيمكن ملاحظة أنَّ المتخصص في علم الفلك يحتاج إلى أنْ يجمع بين أكثر من علم ليدرس الظواهر الفلكية، فقد يحتاج الفلكي عند دراسة ظاهرة ما، إلى علوم الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والجيولوجيا، وحتى علم النبات وغيرها من العلوم، وذلك بحسب الظاهرة التي يراد دراستها، لكنَّ ذلك لا يعني دخول مفردات هذه العلوم كالزلازل والبراكين وغيرها في علم الفلك، فلا يدخل في علم الفلك دراسة طبقات الأرض، ودراسة الزلازل والبراكين، لكنْ قد يحتاج إلى علم الجيولوجيا في دراسة ظاهرة الشهب مثلاً، بينما يحتاج إلى علم الأحياء والكيمياء، ليدرس عينات من هذه الشهب.

ثانيا: التعريف بـ"الوقائع الفلكية".

استخدم المحدثون كلمة الوقائع في عملية النقد الحديثي، فقالوا: النقد بالعرض على الوقائع التاريخية[15] والعلمية، وقصدوا بذلك عملية نقدية تقوم على دراسة متون الأحاديث بعرضها على ما هو ثابت في الواقع، والوقائع جمع واقعة، يُقَالُ لِكُلّ آتٍ يُتَوَقَّعُ: قَدْ وَقَعَ[16]، يقول الزمخشري: والواقعة كقولك: كانت الكائنة وحدثت الحادثة، ووقوع الأمر أي نـزوله، وسميت القيامة بالواقعة لأنَّها ستقع لا محالة[17]، قال تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}[18].

والوقائع الفلكية في هذه الدراسة: هي الأحداث التي أخبرت السنة عن وقوعها ابتداء منْ نشأة الكون، والأحداث المشاهدة، وما سيحدث للكون بالإجمال، وتفسيرها، ويدخل في ذلك أيضاً الأحداث المتعلقة بوقائع فلكية، فالتاريخ لحوادث السيرة كان بناء على وقائع فلكية كرؤية الهلال.

وقد استخدمت هذا المصطلح في هذه الدراسة: لأنَّها تدل على أنَّ الكون كان عدماً فاستلزم وجود خالق، وهي تشمل الظواهر الفلكية لأنَّها واقعة مشاهدة، وتشمل حوادث السيرة، وهي تعني التصديق - إن كان الحديث قطعي الثبوت والدلالة- بتحقق ما أخبرت به السُنَّة النبوية، لأنَّها ستقع حتما، ولذلك سمي اليوم الآخر بالواقعة.

---

[8] م، ص94. 2003 مدخل حديث، دار المناهج، عمان، : الفلسفة عزمي طه السيد،

[9] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص478.

[10] . سورة الأنبياء: آية33

[11] ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، التقريب لحد المنطق، تحقيق : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة : الثانية، 1987 م، ج 1، ص188.

[12] الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.، ج 1،ص 125.

[13] ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج ت: 385، الفهرست، دار المعرفة، بيروت1978، ج1، ص 373.

[14] المنظمة العربية للتربية والثقافة، مصطلحات الفلك في التعليم العالي: إنجليزي، عربي، فرنسي، معاجم المؤتمر الثالث للتعريب، درا الكتب، الدار البيضاء،1977، ص10.

[15] العكايلة، سلطان سند، نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية، دار الفتح للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2002م.

[16] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج22، ص353.

[17] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ج4، ص454.

[18] . سورة الواقعة: آية1

المبحث الثاني: نقد المتن بالعرض على الوقائع الفلكية[19].

ويتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النقد، ومسوغات نقد السُنَّة بالعرض على الوقائع الفلكية.

أولا: تعريف علم النقد لغة واصطلاحا.

النقد لغة: من نقد، وهو خلاف النسيئة، والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، و ناقدت فلانا، إذا ناقشته في الأمر[20].

والنقد في الاصطلاح بهذا الاسم جديد، ولكن بمضمونه "يعود إلى عصر النَّبي صلى الله عليه وسلم" [21]، و عند المتقدمين هو موضوع علم الحديث دراية، وقد عرفه الدكتور نور الدين عتر بأنَّه: " تمحيص الرواية في أسانيدها ومتونها للوصول إلى قبولها أو ردها[22]".

والعلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، لأنَّ النقد عملية متكاملة من المناقشة والتمحيص، للوصول إلى قبول الرواية أو ردها ثم طريقة الاستدلال بها.

ثانيا: مسوغات نقد المتن.

إنَّ المسوغ الرئيس هو قداسة النص فهو فوق كل اعتبار، ومن قداسته أنْ نتبين ثبوته وثبوت مضمونه، ولذلك فإنَّ النقد الحديثي قد بدأ مبكراً منذ "العهد الأول للرواية" [23]، وكان عنوانه التثبت لحديث النَّبي صلى الله عليه وسلم، يقول الدكتور محمد العمري عَنْ النقد الحديثي في عصر الصحابة: " إنَّ ما حصل في هذا الوقت من مظاهر النقد للحديث النبوي إنَّما كان من باب الحيطة والتثبت، ومن باب الغيرة على الدين [24]"، وهذا ينطبق على كل عصر من العصور.

وليس المسوغ هو الشك في عدالة الناقل، لأنَّ دواعي الكذب في الحديث لم تكن موجودة أصلاً في عهد الصحابة، وإنَّما هو راجع إلى احتمال وقوع الخطأ أو النسيان، يقول الدكتور فايز أبو عمير في دوافع نقد المتن عند الصحابة رضي الله عنهم: " وإلا لما حق للصحابة أنْ ينظروا في الروايات التي وصلت إليهم، فما كان لأحدهم أنْ ينطق برد كلمة واحدة يظن أنَّها واردة عَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما يتحول النظر إلى الناقل وما نقل لا إلى المنقول [25]".

وإذا أخذ نموذج متكامل لنقد المتن في عهد الصحابة فإنَّ استدراكات عائشة رضي الله عنها تمثل نموذجا من هذه النماذج في نقد النقل والمنقول ثم يصار إلى العمل بمدلوله، بعد تأكد ثبوته "فصنيعها رضي الله عنها هو التفريق بين عدالة الصحابي وبين احتمال خطأه أو وهمه أو نسيانه [26]".

---

[19] من هذا العنوان يبتدئ البحث المستل من المبحث الخامس من الرسالة حتى نهاية المبحث الأخير، أما النتائج والتوصيات فقد عدلت بما يتناسب مع هذا البحث وكذلك أسئلة الدراسة.

[20] ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص425.

[21] العمري، محمد علي قاسم، دار النفائس، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ، ص11.

[22] عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، سوريا، الطبعة الثالثة، 1412هـ.، ص32.

[23] الجوابي، محمد طاهر، جهود محدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، دار النشر مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس.، الأدلبي، صلاح الدين بن أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، دار الأفاق، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ.

[24] العمري، دراسات في منهج النقد، ص 10، 14.

[25] أبو عمير، فايز عبد الفتاح، قواعد نقل الخبر في الكتاب والسُنَّة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد 39، 1432 هـ.

[26] ليلى رامي، قراءه في استدراكات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على روايات الصحابة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد39، 1426 هـ.

فإذا سلم ذلك فإنَّ الصحابة كانوا وقافين عند دلالة هذه النصوص، "لأنَّ نقد الحديث يقف عند المرجعية العليا للنص"، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[27] [28]، فإذا ثبت الخبر لزم الإيمان به والعمل بمقتضاه.

ومسوغات عرض السنة على الوقائع الفلكية لا تختلف عَنْ غيرها من وجوه النقد، لأنَّه جزء لا يتجزأ من عملية النقد الحديثي، وحتى لا يتصور أنَّ عملية النقد سلبية بحته فلا بد من الإشارة إلى أنَّ عملية نقد الحديث تشتمل جميع مفردات علوم الحديث، رواية ودراية[29]، قوة وضعفا[30]؛ فهي تتضمن:

1. التمييز بين الصحيح والضعيف من حيث الإسناد ومراتب كل منها، وهذا يحتاج إلى علوم الإسناد.
2. تحليل الحديث واستخراج دلالته، وهذا ما يسمى بالحديث التحليلي، ويتمثل في كتب الشروح، وقد تضمنت هذه الشروح قديماً التفسير العلمي للنص وإنْ كانت بصورة مبسطة، فالكسوف والخسوف مثلاً فسرا تفسيراً علمياً في ضوء معارفهم، لكن في عصر التطور العلمي أصبح له لون خاص يمكن تسميته بالتفسير العلمي وهو نوع من النقد.
3. دفع التعارض الظاهري بين النصوص بما يسمى علم مختلف الحديث، وبالنسبة لموضوع الفلك أصبح هناك وجوه تعارض جديدة لم تكن موجودة من قبل.
4. وفي باب السيرة والتاريخ، فإنَّ النقاد عرضوا المتون على وقائع التاريخ، ليتأكدوا من صحتها، وفي علم الفلك ما يمكن أنْ يساهم في ضبط ونقد هذه الوقائع.

لكن مسوغات نقد السُنَّة بالعرض على الوقائع الفلكية لها معنى خاصاً بين عمليات النقد، لورود دعوة صريحة لعملية النقد، ومن ذلك:

أولا: القرآن الكريم: قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [31]، ووجه الدلالة: أنَّ الله عز وجل قد أخبر أنَّ السماوات والأرض كانت رتقاً، والإنسان لم يشهد خلق السماوات والأرض، ولكن طلب النظر في خلق الكون، والتحقق من صدق ما أخبر به عن نشأة الكون، وأنْ يؤكدوا ذلك أو يكذبوه، فموافقة ذلك للعلم دليل على صدق من قال والعكس بالعكس، وختم بقوله أفلا يؤمنون، لأنَّ القرآن لو كان من عند غير الله الخالق لما استطاع أنْ يعرف سر المخلوق، ولظهر في كلامه ما يدل على نقيض ما أخبر، قال تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [32]، وهذا يشمل السنة النبوية أيضاً، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله الخالق.

وهذه الدعوة للنقد تشمل المؤمن والكافر مع اختلاف كل منهم في المنطلقات والغايات، لأنَّ المؤمن ينطلق ابتداء من الاستجابة لدعوة الله له بالنظر في الكون وانتهاء بعملية التوثيق والتفسير العلمي - إذ لا تلازم بين صحة المتن وصحة السند- ليستفيد منها المسلمون ويقنعوا بها غيرهم، "فتكون وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية[33]"، وعند ملاحظته التطابق الشامل بين العلم والشريعة فإنَّه يزداد إيماناً مع إيمانه.

---

[27] . سورة آل عمران: آية109

[28] العلواني، طه جابر، السُنَّة الشريفة ونقد المتون، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد 39، 1426هـ، ص51.

[29] العمري، دراسات في منهج النقد عند المحدثين،ص20 وما بعدها.

[30] جعل الدكتور نور الدين عتر كتابه في علوم الحديث تحت عنوان منهج النقد، وأشار إلى انه أراد تتبع العلوم التي تعالج كل احتمالات القوة والضعف التي قد تطرأ على الإسناد أو المتن أو كليهما معا مقسما ذلك على أبواب علوم الحديث، انظر: مقدمة نقد المتن في علوم الحديث ص16.

[31] . سورة الأنَّبياء: آية30

[32] . سورة النساء: آية82

[33] الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م، ص108-109.

أمَّا غير المؤمن فيبتدئ النقد بحب الاستكشاف والبحث عَنْ الحقيقة أحياناً، وإنصاف الخصم أحياناً أخرى[34]، وقد يكون المنطلق والغاية هو الطعن في الدين، فإذا رأى ذلك التطابق لم يستجب لداعي الإيمان وظل مصراً على عناده، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)}[35].

ودعوة غير المؤمن لعملية النقد هي عملية مستقلة عَنْ الإسناد، فطلب منهم البحث عَنْ صدق المضمون لا بالنظر إلى طريقة وصوله إليهم، لأنَّهم لا يؤمنون بذلك أصلاً، ولكن بصدق المحتوى وسلامته من التناقض مع الحقائق، لأنَّ المضمون الذي نـزل به الوحي قبل مئات السنين عند توافقه مع حقائق علمية دقيقة، فإنَّ ذلك يعني وحدة المصدر، أي أنَّ القرآن من عند خالق هذا الكون.

ليس ثمة صراع بين العلم والدين، لأنَّ مصدرهما واحد، بل خاطب الله عباده بقوله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [36]، لأنَّ العلم أصلاً منبثق عَنْ معرفة أسرار هذه المخلوقات التي خلقها الله، والذي يميز بينهما إنَّما هو وسيلة الوصول إلينا فمنه ما جاء بالوحي، ومنه ما كان بالنظر في سنن الله في خلقه.

إنَّ التصدي للرد على شكوك المستشرقين يعني اعترافاً ضمنياً بقبول العلم وجهاً من وجوه المعارضة، ولذلك لا يوجد من نأى بالدين عَنْ العلم أو بالعلم عَنْ الدين إلا من جهل هذه الحقيقة، بل كان العلم الأداة الأساسية في توثيق مصادر الوحي وهذا ما لم يكن موجوداً في السابق إلا في صورة بسيطة.

ولا يوجد فاصل حقيقي بين العلم الشرعي والعلم الكوني من حيث مصدر كل منها، وإنَّما هي أحكام تنظم العلاقة بين الإنسان والكون والوحي، ضمن قواعد وضوابط تنطوي تحت غاية عظمى، ومرجعية واحدة هي الخالق الآمر، يقول الغزالي: "وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها[37]".

وليس ثمة ما يخافه الإسلام من انتقاض أحكامه بالمكتشفات العلمية فثمة تطابق شامل ومطلق بينهما، بينما نجد نقيض ذلك في الكتب المحرفة في الديانات السماوية، ومع تطور العلوم وجدوا أنَّ هناك تناقضاً واضحاً بين العلم والدين [38]، ولذلك كان أحد عوامل انهيار السلطات الدينية مع بداية الثورة العلمية في أوروبا، بينما كانت هذه الثورة من عوامل الصحوة الدينية عند المسلمين لاحقا[39].

وإذا كانت عملية النقد تشمل جوانب القوة والضعف فانَّ التفسير العلمي للسنة النبوية، جزء لا يتجزأ من عملية النقد، والتفسير العلمي هو: وصف الوحي لظاهرة علمية سابقة أو حالية أو مستقبلية، بدلالة واضحة أو خفية بصورة تفصيلية أو مجمله،

---

[34] ومن ذلك الدراسة التي قام بها المستشرق، موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.، وخلص إلى التطابق التام بين النصوص الإسلامية والعلم الحديث، بينما لم يكن ذلك في الإنجيل المحرف.، ومن ذلك : المستشرق غاري ميلر، في كتاب القرآن المذهل، كتاب الكتروني على الرابط: www.islamhouse.com.

[35] سورة التوبة، الآية: 124-125.

[36] سورة الإسراء: آية85.

[37] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص289.

[38] انظر مثال ذلك: نتائج نقد الكتب السماوية بعرضها على الوقائع العلمية: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

[39] قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط. 1988، ص: 49،55.

وإلا فماذا يسمى إخبار الوحي عَنْ خلق السماوات، وإخبار السنة عَنْ أنَّ الكسوف لا يمكن أنْ يقع بتأثير مجريات الأحداث البشرية، ووظيفة الباحث هي الكشف عَنْ هذا التفسير وبيان جوانبه في ضوء العلم الحديث.

والتفسير العلمي بهذا المفهوم قد بدأ مع بداية الوحي الأولى، لا كما يقال انَّه بدأ متأخرا[40]، ويشهد له كثرة الآيات والأحاديث الواردة في الموضوع، و زاد أهميته و أبرز شموليته تطور العلوم التجريبية ومنها علم الفلك.

المطلب الثاني : التصحيح والتضعيف بالعرض على الوقائع الفلكية.

تمر عملية نقد المتن في الحديث النبوي الشريف بمراحل طويلة ابتداء من طرق التحمل، مروراً بدراسة النص، وعرضه على القرآن و السُنَّة، والوقائع العلمية، والتاريخية وغيرها، وانتهاء بالحكم على الحديث قبولاً أو رداً، أو على أحد مفردات المتن بالزيادة أو الإدراج، ومع أنَّ وجود الأمثلة محدود في هذا الميدان لكن لا بد من الإشارة إليه.

أولا: التصحيح بالعرض على الوقائع الفلكية.

إذا احتوى المتن على مضامين تفيد حدوث واقعة فلكية في السيرة، أو تفسيراً لواقعة فلكية، بحيث توافق الحالتان تطابقاً تاماً مع الحسابات الفلكية، أو التفسير العلمي للواقعة الفلكية، فإنَّ الحديث الضعيف في هذه الحالة يفيد غلبة الظن بصدق الرواية بدرجة قريبة من القطعية، ومثل ذلك:

ما روي في الخسوف الذي حدث في السنة الخامسة للهجرة في جمادى الآخرة[41]، وعند النظر في التطبيقات الفلكية نجد صدق هذه الرواية رغم ضعفها من جهة الإسناد لوجود راوٍ مدلس، وأمَّا درجة القطعية فإنَّها مكتسبة من قانون الاحتمال يبعد هذا التوافق بين ما هو مذكور في الرواية، وما هو موجود في التطبيقات الفلكية، لأنَّ دورة الكسوف والخسوف القمرية طويلة بحيث لا يتكرر الكسوف في ذلك الشهر إلا بعد سنين طويلة[42].

1. عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: "والله أني لغلام يافع ابن سبع سنين أو ابن ثمان سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمة بيثرب يصرخ يا معشر يهود فلما اجتمعوا إليه قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة[43]".

وهذا ما يسمى باقتران أهل الملَّة، وهو اقتران بين زحل، وهو حدث فلكي نادر، ويحدث اقترانهما كل ستمائة وثلاثا وتسعين سنة تقريبا [44]، وقد حقق تاريخ هذه الواقعة الفلكية محمود باشا الفلكي في 29 أو 30 من شهر آذار سنة 571م[45]، وهذه الواقعة حدثت قبل بداية شهر ربيع الأول من السنة العربية التي ولد بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويقوي صحة هذه الرواية: أن

---

40 الحارثي، احمد حسن احمد، الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان و الأرض و الفلك، ص14.

41 الرواية: أورد ابن حبَّان في الثقات: "وكسف القمر في جمادى الآخرة فجعلت اليهود يرمونه بالشهب ويضربون بالطاس ويقولون سحر القمر فصلى رسول الله ρ صلاة الكسوف"، :ابن حبان، محمد بن حبَّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، 1975م، الطبعة : الأولى،، ج 1، ص 261.، وأخرجه: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد، مكتبة الزهراء، الموصل، 1983م، الطبعة : الثانية، رواية رقم11642، وأخرجه: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة : الثانية، 1403هـ، ج 3، ص 104، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1990م، ج 2،ص 512، رقم 6056، وقال صحيح على شرط الشيخين، وتابعه الذهبي، والصحيح أن الحديث ضعيف من جهة الإسناد: فيه ابن جريج وهو مدلس قد حدث بالعنعنة ولم يتابعه أحد.

42 يحدث الكسوف والخسوف بشكل دوري ضمن حساب دقيق، انظر تفصيل ذلك : الطائي، محمد باسل، علم الفلك والتقاويم، ص134-135.

43 أخرجه الحاكم، المستدرك، ج 3، ص 554، رقم 605، ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب،1976م، ج 2، ص 63.

44 أنظر: حول هذا الموضوع محمد صديق حسن خان، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، الطبعة الأولى، ج1، ص 62، وأيضا: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م، ج 1، ص 336.

45 محمود بشا الفلكي، نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص32- 35.

الحدث الفلكي موافق تماماً للروايات التي تذكر أنَّ عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين عاما، وعلى اعتبار وفاته صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول فإنَّ الرجوع بثلاث وستين سنة يوافق تماما ذلك الحدث.

2. قد لا يتوفر في موضوع علم الفلك إلا اليسير من الأمثلة، لكن في باب السيرة النبوية، يمكن إخضاع كثير من الروايات التي سجلت تواريخ لأحداث السيرة ولم ترد فيها أسانيد، إلى عملية النقد باستخدام الحسابات الفلكية، وبالتالي قبولها أو ردها، بناء على مدى موافقتها للحسابات الفلكية، وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة.

3. ومثال ما حوى في متنه ما هو موافق لعلم الفلك مع ضعفه، ما روي عَنْ ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: هذه المغارب أين تغرب ؟ وهذه المطالع أين تطلع ؟ فقال صلى الله عليه وسلم هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، تغرب عَنْ قوم وتطلع على قوم، وتغرب عَنْ قوم وتطلع, فقوم يقولون غربت، وقوم يقولون طلعت[46]".

فهذا الحديث أشار إلى حقيقة علمية وهي أنَّ الشروق والغروب يكون في كل لحظة نتيجة لتكور الأرض، فإنَّ ذلك يقوي الظن بصحة المتن خاصة في ذلك الوقت بأدواته العلمية البسيطة.

لكن بخلاف الحديث الضعيف الذي يذكر حقيقة علمية بديهيه، فلا يعد ذلك مما يقوى به الحديث، لاحتمال أنْ تكون من وضع الراوي.

والخلاصة أنَّ كلا الحالتين لا تؤثر على صحة الإسناد، "لأنَّ الإسناد لا يتقوى إلا بمثله[47]"، سواء وافق الكتاب أو صحيح السُنَّة أو الحقائق العلمية، فإنَّ ذلك لا يعتبر تصحيحاً له من جهة الإسناد؛ ولذلك لم يصحح النقاد كثيراً من الأحاديث، مع أنَّ الأمة قد عملت بها، والنتيجة عدم صحة القول بالتصحيح- بهذا المفهوم -بناء على موافقة الحديث للوقائع الفلكية، ولكنْ يمكن القول أنَّ ذلك يفيد الظن بصحة المتن، بأمر خارج عَنْ الإسناد، فقد يحتوي الإسناد على راوي ضعيف لسبب من الأسباب، فيأتي هذا الراوي بما يؤكد ضبطه لهذه الرواية.

ويرى الباحث أنْ لا باس بالاستشهاد بالأحاديث الضعيفة التي يحمل متنها إشارة علمية صحيحة – وهذا ينطبق على العلوم الفلكية وغيرها- لأنَّها في غير باب الأحكام الفقهية، فيتساهل بها[48]، مع مراعاة بعض الأمور:

1. ذكر الحديث بما يدل على ضعفه عند الاستشهاد به[49].
2. أنْ لا يجزم بتصحيح الحديث بل يبقى في عداد الحديث الضعيف، لأنَّ الحديث لا يتقوى إلا بمثله.
3. أنْ تكون المادة العلمية التي يشير إليها الحديث غير مرفوضة علمياً.
4. مطابقة الدلالة اللغوية للحديث الضعيف لتفاصيل المادة العلمية التي يشير إليها دون تكلف.

---

[46] لم أجده في كتب الحديث، ولكن يقع الاستشهاد به كثيرا في مسائل علمية كثيرة، وقد وجدت من بحث في تخريج هذا الحديث فأشار إلى انه موجود في مسند الإمام أبي إسحاق الهمداني وان الحديث فيه انقطاع وراو مجهول، انظر ملتقى أهل الحديث: على الرابط: ahlalhdeeth.com.

[47] طارق بن عوض الله بن محمد، الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ، ص46، 78 وما بعدها.

[48] وهو رأي جمهور المحدثين وفضائل الأعمال أن لا يكون لمتن الحديث تعلق بالأحكام الشرعية والعقيدة، قال ابن الصلاح: " يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد"، ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث، دار الفكر المعاص، بيروت، 1977م، ص103.

[49] قال ابن الصلاح: " إذا أردت رواية الحديث الضعيف بغير إسناد فلا تقل فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وما أشبه هذا من الألفاظ الجازمة بأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك وإنما تقول فيه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا أو بلغنا عنه كذا وكذا أو ورد عنه أو جاء عنه أو روي بعضهم وما أشبه ذلك وهكذا الحكم فيما تشك في صحته وضعفه". مقدمة ابن الصلاح، ص103.

5. " أنْ يحمل الحديث في طياته علماً نادراً، لا يمكن لبعيد الحدس أنْ يأتي بمثله[50]"، لانَّ العلم النادر يبعد احتمال وقوع الخطأ أو الكذب في متن الحديث.

ثانيا: التضعيف بالعرض على الوقائع الفلكية.

وذلك أنْ يحتوي متن الحديث المقبول أو أحد ألفاظه، على واقعة فلكية أو تفسيراً لهذه الواقعة، تؤثر على صحة المتن، وبالتالي فإنَّ ذلك يعني أنَّ أحد الرواة قد أخطأ في أداء المتن على وجه من الوجوه، أمَّا بالنسبة للحديث الضعيف فإنَّ ضعفه قد كفانا مؤنته كما يقول النقاد، وبالنسبة للحديث المقبول فهو موضوع مهم في أبواب عديدة:

أولا: أنَّ أغلب كلام المستشرقين [51] كان في الأحاديث الصحيحة التي توهم مخالفة النصوص أو الوقائع العلمية، وأمثلة ذلك كثيرة، مثل حادثة انشقاق القمر، والإسراء والمعراج، والأحاديث التي توهم أنَّ الشَّمس هي التي تدور حول الأرض.

إنَّ دراسة هذه الشبهات كان لها أهمية بالغة، ابتداء من تحجيم هذه الشبهات، والرد عليها، إلى إيجاد متخصصين في هذا النوع من النقد، وتفسير هذه الأحاديث المنتقدة تفسيراً علمياً، وأدى إلى تشكيل مدرسة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنَّة، وأوجد مناعة داخلية لمجابهة أيِّ جديد، وأحيانا كانت تنتهي بإسلام المعارضين أو رجوعهم إلى الحق.

ثانيا: أنَّ مدلول الشبهات له ارتباط وثيق بنية مدعي الاختلاف في الدين، بهدف التشكيك والطعن في الإسلام، وبالتالي بصحته، بيد أنَّ هناك نوعاً آخر بناء على سلامة النية، وهو ما يسمى بمختلف الحديث، الذي يدرس وجوه التعارض، وهو يعتبر من أجلِّ علوم الحديث، ويهدف إلى الوصول إلى غاية النص الشرعي ليس غيره.

ثالثا: وهناك من حكَّم عقله في النصوص[52]، فرد بعضها بناء على مشكلة في ذهنه، أقرب ما تكون إلى حالة مرضية في منهجية التعامل مع السنة النبوية، ومن أمثلة ذلك إنكار أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم انتقل بروحه وجسده في رحلة الإسراء والمعراج، لتعارضها مع عدم تصور العقل لذلك الانتقال السريع بين السموات السبع، فخرج ذلك مخرج المتشكك في قدرة الله عز وجل، وهؤلاء يشتركون من حيث الأمثلة مع المستشرقين ويختلفون من حيث الغاية، فهم يقصدون حسب ادعائهم رفع الشبهات، وهذا النوع من الشبهات قد يكون اخطر من الشبهات التي يلقيها المستشرقون ويدخل في هذا النوع أيضاً الخوارج وأهل الكلام [53].

لكن يبدو هنالك حد فاصل قد جعل علماء الحديث يتداولون النوع الأول والثالث غالباً تحت مسمى الطعون في السنة النبوية، وهذا الحد هو التخصص، فعلم المختلف وغيره إنَّما برز له جهابذة علم الحديث، بينما كانت جل الاعتراضات الموجهة للسنة النبوية من غير المتخصصين في الحديث الشريف.

والأهم في هذا الباب هو ما يتعلق بعلم المصطلح بما يؤثر على صحة الحديث أو متنه، أمَّا تضعيف الحديث الصحيح أو رده، بعد عرضه على القرآن أو السُنَّة[54] أو العلم، فهي صورة افتراضية غير موجودة في الواقع الحديثي بمثال واحد متفق عليه.

وفي موضوع الوقائع الفلكية فإنَّ نتيجة عرض السنة على علم الفلك كانت إيجابية، وهي التناسق التام والشامل بين السنة النبوية وعلم الفلك، فلا يوجد تعارض حقيقي بين الأحاديث النبوية الصحيحة وعلم الفلك، بل هناك ما يمثل دليلاً على صدق السنة

---

[50] الأغر، كريم نجيب، إعجاز القران فيما تخفيه الأرحام، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى 2005، ص65، و الكاتب يرى أن الحديث يحكم بصحته بهذا القيد، وكونه من غير المختصين بعلم الحديث فلعله أراد صحة متن الحديث دون السند.

[51] ينظر: المرصفي، سعد، المستشرقون و السُنَّة، دفاع عن الحديث النبوي مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1994.، و العقيقي، نجيب، المستشرقون، موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين و دراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1965م.

[52] ينظر: السفياني، عابد بن محمد، المستشرقون و من تابعهم و موقفهم من ثبات الشريعة و شمولها، دراسة و تطبيقا، مكتبة المنارة، مكة المكرمة 1988م.

[53] ينظر: المحدثون وأهل الكلام وغيرهم: العمري، دراسات في منهج النقد.

[54] ينظر مناهج العلماء في التعامل مع مختلف الحديث: نافذ حسين حماد، مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى،1414 هـ.

النبوية، فيما أخبرت به عَنْ حقائق علمية دقيقة، لا يمكن تصور صدورها من بشر، إنَّما يدل ذلك على علاقة تلك الرسالة بخالق هذا الكون، إذ كيف يتاح لأمة أمية أنْ تكشف مثل هذه الحقائق قبل 1400 سنة.

بقيت الإشارة إلى أنَّ هناك أحاديث يقف عند حدودها العلم دون أنْ يستطيع حتى إنكارها، مثل وجود سرعات تفوق سرعة الضوء، ومثل وجود أبواب بين السماوات وغيرها من الأمور، والقضية الكبرى التي جاءت بها الشريعة وهي أنْ الكون مخلوق محتاج إلى خالق.

أما نفي علم الفلك لتعدد واقعة كسوف الشمس، فلا يصح مثالا لرد المتون، فالذي أوهم تعدد الحادثة وهم الرواة في رواية هيئة صلاة الكسوف، حيث حمل بعض النقاد كثرة المرويات على القول بتعدد الواقعة، ويصلح أنْ يكون هذا مثالا للإفادة من علم الفلك في الترجيح.

وأما رد بعض تواريخ السيرة النبوية كيوم هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بعض الروايات تذكر أنَّ يوم الهجرة كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[55]، وفلكياً يستحيل موافقة يوم الاثنين لهذا التاريخ، حتى بحساب إمكانية رؤية الهلال في الحجاز، والجواب عَنْ ذلك أنَّ هذه التواريخ إما أنَّها كانت مجرد اجتهاد، أو قد وقع في روايتها الخطأ، أو أنَّ يكون هناك تصحيفاً.

لكن بقي باب مهم في مسالة نقد روايات السيرة النبوية التي نقلت دون أسانيد، والتي ذكرت تواريخ لأحداث السيرة، وذلك من خلال عرض هذه التواريخ المدونة، باليوم وما يوافقه من تاريخ قمري، ومن ثم عرضها على التطبيقات الفلكية، التي بإمكانها أنْ تؤكد أو تنفي صحة هذه الروايات، وقد يكون في الحدث الواحد أكثر من رواية توثق ذلك الحدث فيمكن للحسابات الفلكية أنْ تكون مرجحاً لأحد هذه الروايات، وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة.

المطلب الثالث: شروط النقد التاريخي بالعرض على الوقائع الفلكية.

الوقائع الفلكية جزء من التاريخ، بل التاريخ هو وعاء لها، لأنَّ التاريخ هو الذي ينقل إلينا هذه الوقائع ببعديها الزماني والمكاني، وضوابط دراسة هذه الوقائع لا تخرج كثيراً عَنْ ضوابط دراسة الروايات التاريخية، بل هي تستظل بظلالها، وقد بين النقاد قديماً وحديثاً هذه القواعد، ولكنْ هناك تفصيلات ينفرد بها هذا النوع من النقد، وقد بين الدكتور سلطان العكايله[56]هذه الشروط، وهي تنطبق تماماً على النقد التاريخي بالعرض على الوقائع الفلكية:

أولا: إثبات صحة الواقعة الفلكية.

ومثال ذلك عند تحديد تاريخ تقريبي لرحلة الإسراء والمعراج، استخدم واقعة إمامة جبريل لتعيين ذلك التاريخ وقد وردت بأسانيد صحيحة، لكن لا يجوز الاعتماد عليها لو أنَّها لم تصح.

إلا أنَّ بعض هذه الوقائع أو ما يتعلق بضبط تاريخ حدوثها تجد إجماع كتاب السير على ذكرها، فلا مانع من دراسة هذه الوقائع ونقدها تاريخياً، فمثلا جل الروايات تذكر أنَّ رحلة الإسراء قد حدثت في السنة العاشرة ولا يوجد ما يدل على ذلك من إسناد، و هنا يمكن توثيق هذه الحادثة من خلال دراسة تسلسل السيرة النبوية والأحداث التي مرت بها، لتأكيد صحة هذه الروايات ومن ثم يصار إلى الاعتماد عليها.

---

[55] أخرجه الحاكم، المستدرك، ج 3، ص 475، ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1993 م،ج 4، 617، رقم 1716.
درجة الحديث: قال الهيثمي رجاله ثقات، الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994 م، ج6،79ص، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[56] العكايلة، سلطان سند، نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية، دار الفتح للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2002م.

ثانيا: الاهتمام عند نقل الواقعة الفلكية بشهود العيان.

وهذا يفيد في معرفة زمان ومكان الواقعة الفلكية وبالتالي إمكانية الاستفادة من هذه الأوصاف في تعيين تاريخ هذه الواقعة، يقول الدكتور سلطان العكايله: "إنَّ قيمة الوقائع التاريخية تكمن في استيفائها عنصري الزمان والمكان إضافة إلى العناصر الأخرى"[57].

ومثال ذلك الروايات التي نقلت واقعة كسوف الشَّمس فهي ثابتة بعدة طرق صحيحة، لكنَّ ورود هذه الحادثة من شهود العيان يعني ذكر أوصاف مهمة في تعيين تاريخ هذه الواقعة.

المطلب الرابع: ضوابط دراسة الوقائع الفلكية في السُنَّة النبوية.

لا بد من مراعاة ضوابط محددة عند دراسة الوقائع الفلكية في السنة النبوية، ضمن منهجية متكاملة تحفظ قداسة النص، وتراعي خصوصيته، وتؤكد تكامل السنة مع القرآن الكريم، ضمن الغايات التي جاءت لتحققها الشريعة الغراء، لأنَّه لا يتصور وجود مفردات علم الفلك في السنة النبوية إلا في إطار منهج شمولي متكامل، ومثل هذه الدراسات لا بد أنْ تراعي مجموعة من الضوابط لتجنب الوقوع في الإفراط أو التفريط.

ويمكن إجمال ضوابط دراسة الوقائع الفلكية في السنة النبوية في النقاط التالية:

أولا: دراسة الأحاديث الواردة في الوقائع النبوية جنباً إلى جنب مع الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت في نفس الموضوع.

وخاصة عند الحاجة إليها للوصول إلى الفهم الصحيح، لأنَّ دراسة النص النبوي بمعزل عَنْ القرآن الكريم ليست مقصودة بذاتها، وإنَّما لخدمة النص النبوي بصورة شاملة، ولا يعني ذلك أنَّ السُنَّة لم تنفرد ببعض الخصائص.

ويمكن ملاحظة صنيع المحدثين في كتب شروح الحديث، فقد تضمنت الآيات الكريمة التي تشترك مع الحديث النبوي في المعنى حتى يتم دراسة النص النبوي بصورة تكاملية مع القرآن الكريم.

ومن الأمثلة في دراسة الوقائع الفلكية في السنة النبوية، دراسة حديث" إنا أمة أمية"، فلا ينبغي أنْ نستخرج دلالة الحكم الفقهي منه بمعزل عَنْ الآيات التي تحدثت عَنْ الحساب الفلكي، إذ كيف يكون الحساب الفلكي منبوذاً وقد رغب الله تعالى به قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[58]، وهذا يصلح أنْ يكون ضابطاً في كل مسألة.

ثانيا: الرجوع إلى المعاجم الثنائية عند التفسير العلمي للحديث النبوي.

ويقصد بالمعاجم الثنائية: الرجوع إلى مدلولات الكلمة النبوية في ضوء المصطلحات العلمية الحديثة، جنباً إلى جنب مع المعاجم اللغوية الأصيلة، وذلك لاستخراج المعاني الغنية للنص النبوي، و هو ما أشار إليه الدكتور حميد مجول بدقة وهو يتحدث تحت عنون اللغة والفلك في ظل معاني القرآن: "لم تعد المعجمات العربية أحادية اللغة بل ثنائية اللغة لتفي بغرض فهم الكلمة القرآنية، وذلك على أساس مدلولها العلمي الواسع، حتى نحاول استيعاب طرفي المعرفة في اللغة والعلم معاً، استيعاباً متكافئاً مرة،

---

[57] العكايله، نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية، ص88.

[58] . سورة يونس: آية 5

ومتكاملاً مرة، وغير منفصل أحدهما عَنْ الآخر بالمرة، وذلك لأنَّ مدلول الكلمة القرآنية أوسع من أيِّ معنى قاموسي، وأعظم دلالة من أي إنجاز علمي[59]".

وقد يبدو الكلام غريبا أو غير مقبول للوهلة الأولى، وبالمثال يتضح المقال: فدلالة كلمة "أمنة" في الحديث عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رضي الله عنهعن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ[60]"، لا يكفي لاستخراج دلالتها أنْ نرجع إلى المعاجم أحادية اللغة وهي المعاجم التقليدية، ليس إنقاصاً من قدرها فهي المفتاح الذي يوصل بين النص وبين المصطلح الفلكي الحديث، وبعد ذلك يتم استخراج وصياغة التفسير العلمي لهذه الكلمات، ولو أغفلنا المعجم الفلكي لاتهمنا النص بأنَّه عبارة عَنْ مجرد تشبيه.

لكن بالرجوع إلى القواميس الفلكية نجد أنَّها عبرت عَنْ تماسك السماء، وقوى الربط بينهما بعدة ألفاظ تمثل كل منها نوعاً من هذه الروابط فهناك الجاذبية وطاقة الفراغ والنسيج الكوني، وكلها اصطلاحات فلكية حديثة لها علاقة بمدلول كلمة "أمنة"، والذي كشف عَنْ هذه المعاني هو الرجوع إلى المعاجم ثنائية اللغة، ولا مانع من تفسير النص النبوي في ضوء المصطلحات العلمية المتأخرة، لأنَّ النص يشتمل على جميع معاني ما يمكن تسميته المعاجم الثنائية، وسيبقى أغنى من كل هذه المعاجم مهما تقدم العلم.

مع ملاحظة أنَّ المقصود هنا تفسير النص النبوي في ضوء علم الفلك، وهو مقيد عقلا بوجود قدر مشترك بين الاصطلاح العلمي والأصل اللغوي ودلالة النص النبوي، إذ لا يتصور حمل النص النبوي على المصطلحات العلمية المتأخرة عنه إلا بوجود هذا القيد، مع مراعاة خصائص الأسلوب النبوي وبلاغته.

ثالثا: مراعاة سبب ورود الحديث عند تفسير الوقائع الفلكية.

وذلك لأنَّها تكشف عَنْ المعنى الحقيقي وتزيل أوجه الاختلاف الظاهري للنص، فحديث السُنَّة عَنْ فيح جهنم إنَّما كان في سياق الإبراد في صلاة الظهر، لتجنب حرارة الشَّمس، ولم يكن إنشاء الحديث أصالة عَنْ النار.

رابعا: مراعاة الخصوصية للأحاديث الواردة في الوقائع الفلكية المتعلقة بالأسماء والصفات.

فكيف يدرك هذا المخلوق المحدود بقدراته المخلوقة واجب الوجود في ذاته وقد قال عز وجل {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [61]، ولذلك فإنَّ منهج أهل السُنَّة في دراسة هذه النصوص عدم التشبيه أو التجسيم أو التعطيل، وفق قواعد وضوابط محددة.

ومن هذه الأمثلة:

1. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[62]".

---

[59] النعيمي، حميد مجول، الكون وأسراره في آيات القرآن، الدار العربية للعلوم، الأردن، ط1، 2000م، ص15.

60 أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان: ج16، ص234، رقم7249، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح، وأخرجه احمد، مسند أحمد، ج 4، 399، رقم 19584، قال الألباني صحيح.

[61] . سورة الشورى: آية11

[62] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، بَاب وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، ج4، ص97، رقم1812، ومسلم، صحيح مسلم كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّار، ج4:ص2147، رقم 4533/2785.

2. عَنْ أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ينـزل اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ[63]".

خامسا: المحافظة على قداسة النص.

وذلك بأنْ يراعى عند دراسة الأحاديث الواردة في الوقائع الفلكية ما يأتي:

1. تحرير معاني الحديث بصورة شمولية دون الاقتصار على التفسير العلمي لها.

فحديث السُنَّة عَنْ خروج الشَّمس من مغربها لا ينبغي أنْ يشغلنا عَنْ الغاية الأساسية للنص، وهي التحذير من الغفلة والاستغراق في ملذات الدنيا عَنْ حقيقة العبودية لله والاستعداد للآخرة في كل لحظة، لأنَّ الشَّمس تستأذن كل يوم.

ومن ذلك أيضاً حديث السنَّة عَنْ حرارة الشمس، فقد حوى ترغيباً بتجنب أشعتها الضارة، لكنه حوى ترهيبا من الوقوع في موجبات النار.

2. أنْ لا يدعي الباحث الوصول إلى الغاية المطلقة للنص لأنَّ ذلك يحتاج إلى دليل.

فمثلا: حديث السُنَّة عَنْ (تقارب الزمان)فقد أبان العلماء عَنْ آرائهم في تفسير هذا الحديث لكنهم لم يجزموا بأحدها، وتركوا الباب مفتوحاً لما يمكن أنْ يستجد، ومع أنَّ واقع العلوم الفلكية يؤكد أنَّ الزمان لم يتقارب على حقيقة أي لم يقصر الليل و النهار فإن الاحتمال يبقى مفتوحاً أنْ يتحقق في زمن ما.

سادسا: مراعاة الدلالة اللغوية للنص النبوي.

لأنَّ الأصل حمل النص على ظاهره، مع مراعاة بلاغة النص النبوي، وما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم، ولا يلجأ إلى التأويل إلا إنْ كان هناك تعارض حقيقي، فلا يجوز التعنت بحمل النص على ظاهره، ومن ذلك حمل الأحاديث الواردة في الحركة الظاهرية للشمس على أنَّ الشريعة ترى أنَّ الشَّمس هي التي تدور وأنَّ الأرض ثابتة، ومن ثم الدفاع المتكلف في وجه الحقائق العلمية، وربطها بقضية الإيمان والكفر، حتى أصبح ذلك صورة من صور استبداد الكنيسة سابقاً، ومثار سخرية، ومحل طعن في الدين، وبالتالي إضعاف هيبة المسلمين، وتجرؤ ضعاف الإيمان على التطاول على العلماء.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي وهو يضع قاعدة جليلة في بحث مثل هذه المسائل، وهو يتحدث عَنْ حديث خشوع الشَّمس في الكسوف: " وأعظَمُ مَا يفْرَحُ به المَلاحِدة، أنْ يُصَرِّحَ ناصرُ الشرع بأنَّ هذا وأمثاله على خلاف الشرع، فيسْهُلُ عليه طريق إبطال الشَّرع[64]".

سابعا: الاعتماد على ما هو مقبول علميا.

لأنَّ بعض النظريات قد رفضت علميا وتم التدليل على خطأها، فيكون ذلك كنسبة الخطأ إلى الدين، بيد أنَّ هناك ما هو أخطر من ذلك، وهو نسبة الفوضى إلى العلم، بالقول بعدم وجود حقائق علمية ثابتة، وهذا شائع في أوساط العامة وقد يتعدى ذلك إلى بعض المتخصصين.

---

[63] أخرجه مسام، صحيح مسلم، باب الترغيب في الدعاء في آخر الليل،ج1: ص522، رقم 758.

[64] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ج 1، ص 5- 6.

وقد بين الدكتور محمد باسل الطائي أهمية التوازن بين الثوابت والمتحولات، وبين أنَّ المعرفة المتكاملة غير المعرفة الكاملة، وخلص إلى أنَّ النظرية العلمية هي تعبير تقريبي عَنْ الحقيقة وليست تعبيراً مطلقاً، وكلما تقدم العلم الاستنباطي اقترب من الحقيقة أكثر فأكثر[65]".

ولذلك لا مانع من عرض الحديث على علم الفلك وعلى النظريات العلمية بضوابط محددة، لأنَّ القول بقصور العلم ليس في محلة، بل له آثار سلبية وهي التشكيك في جل التفاسير العلمية للقرآن الكريم والسنة النبوية.

ثامنا: ضوابط استخدام الحسابات الفلكية في إثبات الوقائع الفلكية.

لابد من عدة ضوابط عند استخدام الحسابات الفلكية في إثبات واقعة فلكية تاريخية أو مستقبلية، ومن هذه الضوابط:

1. ضبط المكان والزمان الذي حدثت فيه تلك الواقعة أو التي ستحدث.

فمثلا حادثة كسوف الشمس لا بد من تحديد المكان والزمان التقريبي، خاصة إذا كان هناك أكثر من حادثة، لأنَّ ذلك سيعني إتاحة التطبيقات الفلكية للحصول على ضبط دقيق لتلك الواقعة، مع ملاحظة أنَّ مثل هذه الظواهر تعتبر ظاهره نسبية فلا يحتاج إلى قرينة الوقت بشكل كبير.

ويعتبر المكان أمراً أساسياً، وذلك أنَّ الكسوف يختلف قدره باختلاف المكان، وقد لا يرى أحيانا وبالنسبة لاستخدام الحسابات الفلكية في معرفة إمكانية رؤية الهلال لا بد في بيان الزمان والمكان، وذلك مراعاة لاختلاف المذاهب الفقهية.

2. وبالنسبة إلى ضبط تواريخ أحداث السيرة النبوية لا بد من مراعاة إمكانية الرؤية وقد يحتاج إلى معرفة رؤية الهلال في الشهر والشهرين السابقين، حتى يعرف هل كان هناك إتمام، ومثال ذلك تحديد يوم عرفة في حجة النَّبي صلى الله عليه وسلم فلا بد من الرجوع إلى أهلة الشهور التي قبله حتى يعرف ذلك اليوم.
3. تكرار الحساب الفلكي عدة مرات، وذلك لاحتمال وقوع أخطاء إمَّا في البرنامج، أو في إدخال التاريخ من قبل الحاسب، وغيرها من الأخطاء البشرية.
4. بالنسبة إلى الحسابات المتعلقة برؤية الهلال بالنسبة للدول أو حتى العالم الإسلامي، لا بد من المرور بمراحل وإجراءات كفيلة بأنْ تكون النتائج قطعية، لأنَّ الحساب في ذاته قطعي، لكنَّ الإجراءات للوصول إلى الحساب القطعي يجب أنْ تكون وفق ضوابط معينة حتى تأخذ درجة القطعية.

المطلب الخامس: خصائص دراسة الأحاديث النبوية الواردة في ضوء علم الفلك وتطبيقاته.

دراسة النصوص الواردة في السنة النبوية في ضوء علم الفلك لها فوائد كثيرة في أبواب متعددة، وإذا كان من الممكن الاستفادة من تطور علم الفلك، فقد أصبح هناك فوائد جديدة قد لا تكون متاحة من قبل بهذه الصورة، ويمكن إجمال هذه الخصائص على النحو التالي:

أولا: الكشف عَنْ مميزات السُنَّة النبوية في حديثها عَنْ الوقائع الفلكية. ومن ذلك:

[65] الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م، ص9-30.

1. انفراد السُنَّة النبوية بحديثها عَنْ بعض الوقائع، و ذكرها تفصيلات عَنْ وقائع أخرى اخبر بها القرآن الكريم، وهذا يعطي صورة تكاملية للموضوع.

ومما انفردت بذكره السُنَّة النبوية: أنها نقلت السُنَّة النبوية واقعة احتباس الشَّمس في عهد أحد أنبياء بني إسرائيل وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبرت السُنَّة النبوية عَنْ خروج الشَّمس من مغربها، وعن دنو الشَّمس يوم القيامة من الخلائق، وبينت الهدي النبوي في التعامل مع الوقائع الفلكية بصورة شموليه.

2. تحدثت السنة بتفصيل بعض الوقائع الفلكية في القرآن الكريم.

ومن ذلك: أنَّ القرآن الكريم عَنْ تبدل الأرض يوم القيامة وجاءت السُنَّة النبوية بتفصيل عن صفة الأرض يوم القيامة وأنَّ الأرض ستكون بيضاء نقية كالفضة.

ومن ذلك أيضاً أنَّ القرآن تحدث عَنْ أنَّ الشَّمس سراج ولم يفصل سر هذه الطاقة، بينما تحدثت السُنَّة النبوية عَنْ ذلك، فهي تشبهها بحرارة النَّار والتشبيه يقتضي المشابهة فوصفها بالفيح وأنَّها تتنفس وأنَّه يأكل بعضها بعضا وهذا ما يجري تماما على سطح الشَّمس.

ثانيا: أنَّ العبارة النبوية على بساطتها تضمنت معاني شاملة وعميقة، بحيث تكون صالحة لكل ما توصل إليه العلم في كل مستوياته.

يقول الدكتور حميد مجول عَنْ خصائص ألفاظ القرآن: "أنَّ القرآن الكريم قد أحاط بالتفسير العلمي القديم مهما كان، وبالإنجاز العلمي مهما كان[66]"، وهذا ينطبق تماماً على السُنَّة النبوية فكلاهما وحيٌ من الله.

ثالثا: أنَّ السنة النبوية راعت مقدرة المخاطب العقلية والمستوى المعرفي لزمان الرسالة.

يقول الدكتور محمد حسب النَّبي في حديثه عَنْ كروية الأرض: "فلو أنَّ القرآن الكريم صارحهم وقت نـزوله بكروية الأرض وهم يرونها مسطحة، وبحركات الأرض وهم يحسبونها ساكنة، لكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز العلمي والبلاغي في الأسلوب أنْ ينبه الله سبحانه وتعالى النَّاس إلى هذه الحقائق الكونية على قدر عقولهم، بالإشارة وليس بصريح العبارة[67]"

وما ينطبق على القرآن ينطبق على السنة النبوية، وأمثلته في الوقائع الفلكية كثيرة ومن ذلك حديث النَّبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه عَنْ ذهاب الشَّمس وسجودها تحت العرش، إنما جاء في ظلال خشوع الشَّمس لله عز وجل، لكنَّه حوى إشارات علمية عَنْ جريان الشَّمس ودوران الأرض حولها.

ومن ذلك حديث السنة عَنْ خروج الشَّمس من مغربها في آخر الزمان، إنَّما وصف الحركة الظاهرية لها لا حقيقة أنَّ الأرض هي التي ستغير دورانها حتى يتحقق ذلك الإخبار، وحديث النَّبي صلى الله عليه وسلم: "النجوم أمنة السماء" فيه إخبار عَنْ القوى التي تمسك النجوم منْ أنْ تقع وذلك في سياق الإشارة إلى منـزلته ومنـزلة الصحابة، والتحذير من ظهور الفتن، ولم يأت أصالة في الحديث عن هذه القوى.

رابعا: الكشف عَنْ وجوه جديدة في مسائل المختلف.

---

[66] حميد مجول، الكون وأسراره في آيات القرآن، ص84.

[67] مصر، ط2002م، ص149. المعارف، دار والنسبية، العظمى للسرعة القرآنية الإشارات النبي، حسب منصور

وهذا ليس مطلوبا بذاته، ولكنه لتحقيق غاية عظيمة، وهي نقد النص النبوي بصورة شمولية، وتفسير هذه الوقائع تفسيراً علمياً. ورد الشبهات.

إنَّ علم الفلك يبين أوجها جديدة في مختلف الحديث لم تكن موجودة من قبل، مثل: الأحاديث الواردة في الحركة الظاهرية للشمس كالغروب والشروق، وهذه الأوجه لم تكن موجودة من قبل، لأنَّ ما كان يعتقد هو دوران الشَّمس حول الأرض، وفي ضوء دراسة هذه النصوص تبين أنَّ الاختلاف شكلي وليس حقيقياً، لأنَّ السنة إنَّما تحدثت عَنْ الحركة الظاهرية للشمس بما هو مشاهد للعيان.

خامسا: الكشف عَنْ بعض صور الخلاف الفقهي.

ومن ذلك أنَّ الفقهاء بينوا أنَّ رؤية الهلال في مكان تقتضي أنْ يرى غربه على الإطلاق، لكنَّ الواقع الفلكي يبين أنَّ ذلك مقيد بأنْ يكون على نفس خط العرض، فقد يرى في جنوب أمريكيا مثلاً ولا يرى في شمالها، وهذا قد يكون وجهاً يعين في رسم صورة تفصيلية لهذه المسألة، ومن ثم عدم واقعية القول بالعمل بمقتضى اختلاف المطالع مطلقاً.

سادسا: الكشف عَنْ علة بعض النصوص المتعلقة بالوقائع الفلكية.

وبالتالي تفسيرها، فمثلا قول النَّبي صلى الله عليه وسلم "إنا أمَّة أميَّة لا نكتب ولا نحسب[68]"، فإنَّ كلمة لا نحسب لها مدلول خاص في ضوء العلوم الفلكية، فمع وجود حسابات فلكية دقيقة إلى حد كبير في ذلك الزمان، إلا أنَّه لم يصل درجة القطعية، وذلك أنَّ مدار القمر معقد جداً يحتاج حسابه إلى معادلات رياضية معقدة، فلم يستطع العلماء حساب حركته بدقة حتى ظهرت الحواسيب.

سابعا: ضبط تواريخ مهمة في السيرة النبوية.

مثل حادثة الكسوف بعد الهجرة، وخسوف القمر في السنة الخامسة للهجرة، وضبط الوقائع الفلكية المتعلقة بمولد النَّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يمثل نموذج في دراسة تواريخ السيرة النبوية.

ثامنا: التفسير العلمي للحديث النبوي الشريف.

ومن ذلك: تفسير الأحاديث الواردة في الكسوف والخسوف وجريان الشمس، وخروجها من مغربها.

تاسعا: نقد نصوص السنة النبوية المتعلقة بالوقائع الفلكية.

لأنَّ عملية النقد تمخضت عَنْ توثيق كامل لهذه النصوص، بينما وقف العلم عاجزاً عَنْ تفسير بعضها الآخر بسبب محدودية أدواته، وهذا يعني توثيق مصادر السُنَّة النبوية، لأنَّ ذلك نتيجة تابعة لعملية النقد الحديثي، فصحة هذه النصوص يعني صحة ضبط هذه المصادر، ومصداقية مؤلفيها، وأمانتهم العلمية، وصدق الرواة، وهذا يقدم نموذجاً لدراسة شاملة للوقائع الفلكية في كتب التاريخ الإسلامي.

ثامنا: تقديم التطبيقات الفلكية المحققة لفقه النصوص.

---

[68] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب شهرا عيد لا ينقصان، ج2/ص1814/675، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان، ج2/ص1080/761.

لأنَّ علم الفلك يضع هذه المعرفة في خدمة نصوص الشريعة ويقدم حلولاً عملية شاملة لمواقيت الصلاة ورؤية الأهلَّة، وحتى مراعاة الفروق الفقهية في هذه المسائل، وقد قام بذلك بعض المختصين بعلم الفلك وهم كثر، بل اخذوا على عاتقهم تقريب وجهات الأنظار في توحيد المسلمين في عباداتهم وبيان التفسير العلمي للنصوص من وجه النظر الفلكية.

الخاتمة:

بعد البحث في موضوع نقد المتن "السنة" بالعرض على علم الفلك وتطبيقاته، فيمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

1. دلالة الوحي بشكل واضح على معالم المنهج النقدي بالعرض على العلوم بشكل عام ومنها علم الفلك.
2. مجالات دراسة السنة في ضوء علم الفلك وتطبيقاته كثيرة ومهمة، وعملية النقد تتجاوز في الأهمية مسألة الاستدلال على قضايا الإيمان وصدق الرسالة إلى خدمة الشريعة الإسلامية في نواحي عملية وتطبيقية كثيرة وذلك لارتباط مواقيت التكليف الإلهي للإنسان بظواهر فلكية.
3. النقد عملية إيجابية في كل نواحيها ابتداء من توثيقها للنص بطريقة علمية بالإضافة إلى وجود الأسانيد، وانتهاء بالتفسير العلمي لنصوص الوحي ومنها الاحاديث الشريفة.
4. من خلال النقد الحديثي بعلم الفلك وتطبيقاته يمكن الترجيح بين الروايات وتحديد الراوي الذي ضبط روايته وذلك في مسألة تعدد الروايات في هيئة صلاة الكسوف والخسوف، وكذلك ضبط تواريخ مهمة في السيرة النبوية مثل حادثة كسوف الشمس، وغيرها من الأحداث.
5. أصالة منهج النقد في الفكر الإسلامي وعند المحدثين فهو يشمل كل ما هو ممكن من الاستفادة من العلوم وتطبيقاتها في نقد المتون.
6. نقد المتون في ضوء العلم ومنها علم الفلك يخضع لقواعد علمية ومنهجية وله وسائله وضوابطه التي تمنع عنه الإفراط والتفريط.
7. الوحي لا يتحدث عن الظواهر العلمية والفلكية إلا ضمن منهج هدائي للإنسان، والعلم نسبي ولفظ الوحي ابتدائي في التأسيس للمعرفة ونهائي في الدلالة على مطلق المعرفة، فنص الوحي أغنى من أي معجم لغوي أو تخصصي في أي معرفة.
8. ليس هناك صراع بين العلم والدين لأنهما من عند الله الخالق، فالسُّنة النَّبوية تضمنت إشارات علمية دقيقه، تظهر التوافق التام بين السنة النبوية وعلم الفلك.

9. خامسا: التناسق التام المطلق الشامل بين التفسير العلمي الوارد في السنة النبوية وبين العلم الحديث، وأنَّ ما ورد من صور التعارض بين الحديث النبوي الشريف والعلم في موضوع الوقائع الفلكية إنما كان تعارضاً ظاهرياً.

التوصيات

بعد هذه الدراسة أوصي بما يأتي:

أولا: ضرورة التزام الباحثين في التفسير العلمي للقرآن والسنة، بضوابط تراعي القواعد العلمية للنقد، وخصوصية النص وهداية الوحي، لأنَّ وجود مئات من النصوص عن الحقائق العلمية إنَّما جاء ضمن منهج متكامل له أهدافه وغاياته، فلا يجوز الاقتصار على التفسير العلمي للنص دون الدلالة على ما يتضمنه من هداية.

ثانيا: نظراً لأهمية علم الفلك في نواحي عديدة من الشريعة الاسلامية لا بد من وجود مجمع فقهي فلكي يعنى بالدراسات الفلكية في الشريعة الاسلامية، لأن المتخصصين في علم الفلك الاقدر على دراسة نصوص الوحي وهذا في كل المجالات العلمية أيضا.

ثالثا: ضرورة وجود دراسة مستقلة، توظف التطبيقات الفلكية في ضبط تواريخ السيرة النبوية.

قائمة المراجع:

ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب،1976م

ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث، تحقيق : نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1977م.

ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج، الفهرست، دار المعرفة، بيروت1978م.

ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1993 م.

ابن حبان، محمد بن حبَّان البستي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، 1975م، الطبعة: الأولى.

ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1993 م،

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، التقريب لحد المنطق، تحقيق : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1987 م.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

أبو عمير، فايز عبد الفتاح، قواعد نقل الخبر في الكتاب والسُنَّة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد 39، 1432 هـ.

الأدلبي، صلاح الدين بن أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، دار الأفاق، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ.

الأغر، كريم نجيب، إعجاز القران فيما تخفيه الأرحام، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 2005م.

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت 1987م، الطبعة الثالثة.

الجوابي، محمد طاهر، جهود محدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، دار النشر مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس.

الحارثي، أحمد حسن احمد، الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض و الفلك،

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1990م.

خان، محمد صديق حسن، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.

الخصاونة، عوني محمد، تطبيقات علم الفلك في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت 1999م.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السفياني، عابد بن محمد، المستشرقون و من تابعهم و موقفهم من ثبات الشريعة و شمولها، دراسة وتطبيقا، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، 1988م.

السيوطي، جلال الدين، الهيئة السنية في الهيئة السنية، ترجمة أنطون هاينن، منشورات المعهد الألماني، بيروت، 1982.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام ، المصنف، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة : الثانية، 1403هـ.

طارق عوض الله محمد، الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ.

الطائي، محمد باسل، تحقيق حوادث كسوف الشمس في التاريخ الإسلامي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد: 2 /2006م.

الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد ، مكتبة الزهراء ، الموصل، الطبعة : الثانية ، 1983م،

عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، سوريا، الطبعة الثالثة، 1412هـ.

عزمي طه السيد، القلسفة: مدخل حديث، دار المناهج، عمان، **2003**م.

العقيقي، نجيب، المستشرقون، موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين و دراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1965.

العكايلة، سلطان سند، نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية، دار الفتح للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م.

العكايلة، سلطان سند، نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية، دار الفتح للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2002م.

العمري، محمد علي قاسم، دار النفائس، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة.

ليلى رامي، قراءه في استدراكات ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها على روايات الصحابة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة العاشرة، العدد39، 1426 هـ.

مجول، حميد ، الكون وأسراره في آيات القران الكريم، ، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 200م.

محمود بشا، الفلكي، نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ترجمه من الفرنسية: أحمد زكي أفندي، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، 1992م.

المرصفي، سعد، المستشرقون و السُنَّة، دفاع عن الحديث النبوي مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1994.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

معابده، يحيي زكريا علي، الأحاديث النبوية الواردة في الوقائع الفلكية، دراسة موضوعية نقدية، أطروحة العالمية (دكتوراه)، المشرف الدكتور محمد عبد الرحمن، جامعة اليرموك، 2009 م.

منصور حسب النبي، الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، دار المعارف، مصر، ط2002م.

المنظمة العربية للتربية والثقافة، مصطلحات الفلك في التعليم العالي: (إنجليزي، عربي، فرنسي)، معاجم المؤتمر الثالث للتعريب، درا الكتب، الدار البيضاء.

موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

نافذ حسين حماد، مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى،1414 هـ.

النعيمي، حميد مجول، الكون وأسراره في القرآن، الدار العربية للعلوم، الأردن، ط1، 2000م.

الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994 م.